سياسة محمد علي باشا الداخلية وتكوين الدولة الحديثة

م.م. جاسم محمد عبد علي

كلية الامام الاعظم (رض) الجامعة

الكلمات المفتاحية: محمد علي باشا، السياسة الداخلية، الدولة الحديثة

الملخص:

محمد علي باشا هو شخصية بارزة في تاريخ مصر الحديث، وُلد في 4 مارس 1769 في مدينة Kavala في اليونان. يُعتبر مؤسس مصر الحديثة، حيث قام بإصلاحات جذرية في العديد من المجالات، بما في ذلك الجيش، الزراعة، الصناعة، والتعليم.

ركز محمد علي على تطوير الجيش المصري، حيث أنشأ جيشاً قوياً ومدرباً على الطراز الأوروبي، مما ساعده في توسيع نفوذه في المنطقة. كما قام بإجراء إصلاحات زراعية، وزرع محاصيل جديدة، وأسّس نظاماً لريّ الأراضي، مما أدى إلى زيادة الإنتاجية الزراعية.

في المجال الصناعي، أسس محمد علي العديد من المصانع، بما في ذلك مصانع للغزل والنسيج، واهتم بتطوير البنية التحتية للبلاد، مثل الطرق والموانئ. كما أدخل نظام التعليم الحديث، مما ساعد على رفع مستوى التعليم في مصر.

على الرغم من نجاحاته، واجه محمد علي تحديات وصراعات، بما في ذلك التمردات الداخلية والضغوط الخارجية من القوى العظمى. ورغم ذلك، ترك إرثاً كبيراً في تاريخ مصر، حيث أسس أسرة محمد علي التي حكمت البلاد لقرن من الزمن.

توفي محمد علي باشا في 2 أغسطس 1849، لكن تأثيره لا يزال محسوساً في مختلف جوانب الحياة المصرية حتى اليوم. يُعتبر رمزاً للإصلاح والتحديث، ومؤسساً لعصر جديد في تاريخ مصر.

المقدمة:

لقد نجح محمد علي باشا في بناء دولة كانت لها مؤسساتها السياسية - فيما بعد - وطنا للمستقبل وكانت تتمتع طال عهده الذي يقترب من النصف قرن، بحس براغماتي، اذ خلق توازنًا حقيقيًا بي اللامركزية الادارية - العثمانية والاستقلال الذاتي - المصري، بحيث حقق استقرارًا سياسيًا على نطاق واسع، اتاح له تنفيذ برنامجه في البناء الاقتصادي والثقافي والاجتماعي،

وعمل على تطوير الياته وعناصره العسكرية التي خدمته ليس في الدفاع عن كيانه السياسي، وانما في التوسع على أطراف عديدة.

بعد استقلال مصر محمد علي باشا عن الدولة العثمانية اول انجاز كبير اكسبه المزيد من الشرعية السياسية والتاريخية. فضلًا عن ان محمد باشا قد وفر مناخًا سياسيًا في مصر مستقلًا عن الدولة العثمانية. من خلال التمثيل الدبلوماسي، واستطاع محمد علي باشا ان يقرب وجهات النظر بالاعتماد على ملاكات جديدة في الاجهزة الحديثة التي بناها.

ومن هنا جاء اختيار موضوع البحث (سياسة محمد علي باشا الداخلية) قسم هذا البحث الى مبحثين اساسيين:

المبحث الاول: تناولت فيه شخصية محمد لي باشا والي مصر من حيث نبذة مختصرة عن حياته ونشأته الى حين وصوله الى السلطة.

اما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه اصلاحات محمد علي من خلال تطويره الجيش واستخدام أفضل انواع الاسلحة والآلات، فضلًا عن الحركة التعليمية وتطورها وكذلك التجارة والصناعة.

اما بالنسبة أبرز المصادر التي استعنت بها في نطاق هذا البحث:

١- عبد الرحمن الرافعي. عصر محمد علي، الطبعة الثالثة، مطبعة الفكر، ١٩١٥، اذ يتناول فيه أبرز محطات محمد علي منذ بداية استلامه السلطة ال، نهاية حكمه.

٢- جمال الدين الشيال. تاريخ الترجمة والركة الثقافية في عصر محمد علي، دار الفكر العربي، ١٩٥١. اذ تناول فيه ابرز الأمور التي حدثت في هذا المجال بكل دقة وابراز في هذا المجال ؟

المبحث الاول: شخصية محمد علي

مثلت الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨، تحديًا خطيرًا للمجتمع المصري، وعملًا عسكريًا ارادت به فرنسا ان تنشر إمبراطورية استعمارية كبرى في الشرق، فضلًا عن كونه تعبيرًا في المواجهة بين حضارتين، مختلفي المناحي والاتجاهات، حاولت الأولى الغازيات تصد الثانية المتلقية للغزو، الا ان النتيجة النهائية لهذه المواجهة ادت بالتالي الى انسحاب الغزاة، وبقاء رد الفعل المصري الوطني مهيئاً للتطور باتجاه افاق جديدة، امتزج فيها الحس الوطني بالاطار القومي الفعال[1].

وعلى الرغم من معاناة المواطن المصري من استعباد حكامها العثمانيين والمماليك، واضطراب الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية الا ان المشرق العربي عمومًا، ومصر خصوصًا لم

يتعرض الى هزة عميقة تجعله يتحرك باتجاه ما ال اليه وضعه قياسًا الى المجتمعات الغربية الاخرى[2].

تسنم محد علي السلطة في مصر في الثالث عشر من آيار عام ١٨٠٥م اثر تطورات داخلة خطيرة اعقبت انهيار النظام الملوكي، وجاءت عملية وصول محمد علي الى الحكم نتيجة الدور الذي اسهم به علماء ومشايخ ووجهاء مصر[3].

اتفق المؤرخون على تسمية المدة الواقعة بين رحيل الفرنسيين عن مصر ١٨٠١م وتولي محمد علي ١٨٠٥ بالفوضى السياسية [4].

ويعد محمد علي باشا اول وال يتم تعيينه لمصر عبر تطورات داخلية شهدتها الساحة السياسية، كما انه لم يكن بعيدًا عن هذه التطورات بل كان مراقبًا لها احياناً او مشاركاً فيها في احيان اخرى، لذلك عندما وصل الى السلطة كان خبيرًا بالقوى التي بالإمكان الاعتماد عليها، او تصفيتها، فضلًا عن نوع السياسة التي كان عليه ان يتعبها في مصر[5]. كان محمد علي من اعظم الشخصيات التي عرفها الاسلام شأنًا، وفي كانون الثاني عام ١٧٦٩م ولد في قوله عل، الساحل المقدوني، اذ كان عمله يشغل منصب (متسلم) [6]، وفي ديوان عمه تمرس محمد علي بالأعمال والمعاملات من غير ان يحظى بتربية مدرسية صحيحة.

وبلغ سن العشرين كان قد نجح في تجارة التبغ وعقد الصفقات فيها. والتبغ مادة التجارة الرئيسة فيها في بلده الام. ومهما يكن من شيء فقد كانت تلك المقاطعة النائية اضيق من ان تسع طموحه البعيد، وفي تشرين الثاني عام ١٨٠٥م امسى محمد علي سيد البلاد الفعلي، من اقصاها الى اقصاها[7].

فالزعامة الشعبية التي ابلغته الى سلطة الحكم، وقد ظلت هذه الزعامة في الميدان، وبقيت قايمة عاملة في السنوات الاولى من حكم محمد علي، فكان لها اثر فعال في تثبيت دعائم ملكه وتذليل العقبات التي وضعها في طريقه رجال الاستانة من جهة، والانكليز وضائعهم المماليك من جهة اخرى، فالزعامة كان لها فضل وعمل هام من هذه الناحية ولها عمل كبير في توجيه الشؤون العامة، ونصيب وافر في سلطة الحكومة[8]. فقد ادرك محمد علي منذ ايامه الاولى في مصر انه لم يتول امر باشوبة عثمانية عادية، بل على عرش مملكة عظيمة كل ما حوله فيها يشهد بما كان لملوكها وسلاطينها وان عناية الله سلمته حكم امة واحدة يدر نيلها وارضها الفيض العميم، وان الميدان خليق الابطال[9]. واستطاع محمد علي ان يفك عرى التماسك الذي كان الصفة

الاساسية من صفات المقاومة الشعبية المصرية وقياداتها اثناء الصدام مع الفرنسيين، ففرق بينهم، وشهدت السنوات من اواخر عام ١٨٠٥ وحتى ١٨٠٩ ظواهر دلت على نجاح محمد علي[10] ولاسيما عمر مكرم[11] الذي استطاع نفيه الى طنطا بعد ان نفاه في البداية الى دمياط فضلًا عن حجاج الخضري[12] والذي كان مصيره الموت بسبب مواقفه المناوئة لسياسة محمد علي وتجاوزه للعهد الذي قطعه على نفسه باحترام الارادة الشعبية المصرية[13].

وبعد ان تخلص محمد علي من اهم القيادات الشعبية المصرية صمم القضاء على المماليك الذين كان عددهم (٢٥٠٠) مقاتل فحاول في بداية الامر ان يبعدهم من الادارة والحكم بالأساليب التقليدية المتمثلة بالمؤامرات السياسية، فقد ظلوا قوة مؤثرة وقادرة على عرقلة اعمال محمد علي واثارة الشكوك في كل خطوة يخطوها فاصبحوا عناصر تهدد السلطة [14].

اذ ادرك محمد علي ان المماليك اصبحوا قادرين على استخدام القوى الأجنبية ذات الاطماع الاستعمارية في مصر من ال عزل محمد علي والعودة الى الحكم كما هو الحال في الحملة البريطانية على مصر باسم ((حملة فريزر)) [15] التي جاء معها احمد بك الالفي[16] احد المماليك الذي جاء به البريطانيون ليتولى قيادة المماليك.

الا ان انتصار الارادة الوطنية المصرية على حملة فريزر، وعودة العلاقات العثمانية البريطانية الى اطارها الايجابي عام ١٨٠٩ جعل المماليك في وضع محرج[17]. واراد محمد علي من التعجيل في امره والقضاء عليهم فيما عرف في التاريخ باسم ((مذبحة القلعة)) عام ١٨١١م[18]. حاول محمد علي باشا من خلال قيامه بهذه المذبحة ان يوحي للراي العام المصري انه على استعداد لقتل كل ما يعادي سياسته العامة وبالفعل انفرد بالحكم. وبدات ملام سياسته تتضح في مختلف مجالات الحياة بعد ان تركزت جميع السلطات في يده واسقط كل معارض له[19].

ومن الخطأ ان نقول ان محمد علي كان صنيعة الدولة من الدول او ستاراً تختفي وراءه احدى القوى الاوربية فلم يكن الرجل في يد فرنسا ولا ضيعة من ضيعاتها، لانه كان اذكى من ذلك بكثير. ودراسة اعماله دراسة دقيقة تدل على ان الرجل لم يكن اقل مراعاة للخواطر الانكليزية من مراعاته لحسن ظن الفرنسيين بل انه كان احرص على كسب دور الانكليز منه على ارضاء الفرنسيين[20]. وان محمد علي قد كسب تأييد السلطان محمودالثاني (١٨٠٧-١٨٣٩) اثر قضائه على الحركات التي كانت ضد توجهاته في بناء الدولة وعلاقاته مع الدول الاخرى [21].

المبحث الثاني: إصلاحات محمد علي

١- الجيش

ان الجيش هو الدعامة الاولى التي شاد عليها محمد علي كيان مصر المستقلة، ولولاه لما تكونت الدولة المصرية ولا تحقيق استقلالها، وهو الذي كفل هذا الاستقلال وصانه، فلا عجب ان خصه محمد علي بأعظم قسط من عنايته ومضاء عزيمته، وليس في منشئات محمد علي ما نال عنايته مثل الجيش المصري. فالجيش فضلاً عن مهمته الاولى الدفاع عن استقلال البلاد كان اداة لتقدم العمران في مصر[22].

وادرك محمد علي ان نجاح تحقيق مشروعاته الطموحة وإقرار علاقته بالباب العالي انما يتطلب قوة عسكرية منظمة على الاساليب الاوربية واعداد ما تحتاجه من عتاد ولباس وغذاء، ولم يكن لدى الباشا في البداية غير فرقته الألبانية التي كانت عدته في التغلب على خصومه فت بها بلاد العرب ولكن هذه الفرقة ابت تخضع لأساليب التدريب الحديث التي اراد ان يأخذ بها فثارت عليه في احدى معارك بلاد العرب، وظل جيشه مكون في اخلاط الاجناس الثمانية[23].

اخذ محمد علي باشا يؤسس الجيش المصري النظامي منذ عام ١٨٢٠م، وكان الجيش قبل ذلك العدد اخلاطاً من العناصر المقتصرة على التمرد والفوضى يطلق عليها لفظة (باشبوزق) [24] ومثل هذا الجيش لم يكن جديراً بالاعتماد في رفع هيبة مصر والدفاع في كيانها وتوسيع حدودها. لذلك ما فتئ محمد علي عندما تبوأ عرش مصر أخذ يفكر في إنشاء جيش على النظام الجديد [25]. ولعل الذي لفت نظره الى النظام العسكري الحديث من التفوق، ما شاهده بنفسه من انكسار الجيوش العثمانية التي كانت تحت سيطرة الصدر الاعظم مصطفى باشا في واقعة أبي قير اما الجيش الفرنسي بقيادة بونابرت[26].

فاعتزم محمد علي على تحقيق مشروعه عام ١٨٢٠ بفتح مدرسة حربية في (اسوان) لتخريج ضباط الجيش ،كان لابد من الضروري لإدخال النظام الجديد ان يختار ضباطاً ومعلمين على بعض أساليب ذلك النظام ولا مانع ان يكونوا من الاوربيين، لان هذه الاساليب كانت مجهولة من الشرق في ذلك الوقت[27]. ولذلك طلب من فرنسا معلمين عسكريين لجيش ينشئه على النظم الحديثة فانتخب الكولونيل سيف الذي اسلم وعرف فيما بعد باسم سليمان باشا الفرنساوي [28]، وعند وصوله الى مصر سنة ١٨١٩ وفي السنة التالية وجه محمد عل مع (٥٠٠) من مماليكه الى أسوان يدربهم هناك على الطريقة الحديثة في استعمال الاسلحة والنظام العسكري[29]. بحيث صار يصارع ارقى الجيوش الاوربية، وبرهن في ميادين القتال على انه لا يقل عنهم دراية وكفاية [30]. وقرر محمد علي يرسل بعض الطلبة الى ليفورون وميلانو وفلورنسا وروما لدراسة الحركات العسكرية وصناعة بناء السفن والطباعة والهندسة وغيرها من الفنون الحربية. كما أرسل طلبة

اخرين الى انجلترا لدرس الميكانيكا وسلوك البحار ونواميس السوائل. واذا نظم الجند راى من الضرورة بأنشاء مدرسة طبية لإخراج اطباء الجيش فأنشأ تلك المدرسة في عام ١٨٢٥م[31].

وتعجيلاً لثمار سعيه في إعداد الجند المنظم واطبائه اوفد سنة ١٨٢٦م اربعين من تلاميذ المدرستين التميزية والطبية الى فرنسا لإتقان الفنون الحربية والطب والادارة الملكية العسكرية[32].

وان الكولونيل (سيف) لقى صعوبة كبيرة في تدريب اولئك الشباب على الاساليب الحديثة، لان قوام هذه الاساليب النظام والطاعة المطلقة للرؤساء، والمماليك اعتادوا الصخب والضوضاء والاخلال بالنظام، ولم يألفوا من الحركات العسكرية سوى الكر والفر، ولم يتعلموا فنون الحرب على ضباط اوربيين، فجاشت نفوسهم فكرة التمرد والعصيان[33].

واعتزم محمد علي تجنيد المصريين لم يجد الطريق امامه معبداً مفروشاً بالورد والريحان، بل ألغاه على العكس من ذلك كثير المزالق مليئاً بالاشراك، وكان للطبقة الارستقراطية التركية دخل كبير فيما لقيه الباشا من صعاب وعقاب لان ابناء هذه الطبقة لم يكفهم ان يرفضوا انخراط ابنائهم في سلك الجندية، بل ارادوا كذلك ان يحولوا دون تجنيد المصريين، وحجتهم في ذلك ان الجندية مهنة نبيلة يحط من قدرها ان تصبح في متناول الفلاحين[34].

اذ لم يشأ في البداية ان يجند الاتراك ولا ارناءوط في النظام الجديد لما خطروا عليه من حب الشغب والنفر من النظام والرغبة عن الطاعة ومن يشأ ان يفاجئ المصريين بتجنيدهم حتى لا يثير الهياج في البلاد. وكذلك فكر في تجنيد السودانيين من سكان كردفان وسنار، وقد تقدم بان بواعث فتح السودان تجنيد اهله في الجيش المصري[35]. وقد عهد الى ابنه اسماعيل باشا وصهره الدفتردار ان يرسلا له حشداً من السودانيين يجمعان له ما وسعهما الجمع[36].

وكان الجيش النظامي في عام ١٨٢٤م يتألف من الآليات وعدتها اربعة وعشرون الف جندي، اما النظاميين فكانوا حوالي عشرة الاف، وزع اكثرهم بين بلاد العرب والنوبه وسنار والكردفان عدا سان والمدفعية، وبلغ عدد الفرسان ثمانية الاف اغلبهم من التركمان. وكانوا مقسمين زمراً وكل زمرة مؤلفة من خمسمائة فارس بقيادة بيك[37]. ولما اتسعت دائرة التجنيد استدعى محمد علي من فرنسا طائفة من كبار الضباط ليعاونوه على تنظيم الجيش المصري، فتكونت طوائف الضباط المصريين على يد المعلمين الاوربيين[38].

اذ استدعى من فرنسا الجنرال بوير والكولونيل جودان وجماعة اخرين من كبار الضباط فتعاونوا جميعاً على تصميم النظام الجديد وبث التعليم العسكري في صفوف الجيش[39]،

وترجمت الانظمة والتعليمات العسكرية الفرنسية الى اللغة العربية، واستخدمت في إنشاء ذلك الجيش المصري النظامي الكبير الذي كانت القوة الالبانية نواته الأولى[40].

بالاضافة الى تشكيل عدد من المدارس الحربية [41].

اما ملابس الجنود فكانت ترتدي كساء بسيطاً مريحاً للجسم وحافظاً للزي الاهلي ويتكون من طربوش احمر ومن عطيف قصير ذي مشابك فوق الصدر وسروال الى الركبة متع وحزام عريض يشد به الوسط وحذاء تركي احمر، ولفافة على الساق بين الحذاء والسروال[42].

ورأى محمد علي ان إنشاء جيش يحمي الذمار امر لا صحة له الا بان يجد كفايته من السلاح والذخيرة والمدافع داخل البلاد فقام بإنشاء مصانع للأسلحة في مصر [43].

غير ان هذه المعدات وتلك القوات لم تكن كافية في نظر محمد علي لان الاليات الستة لم تلبث ان ارسلت بعد تدريبها الي السودان والحجاز والمورة، وكادت مصر تخلو من جيش قوي، هذا يعني ان القضاء على الجيش كان امراً مستحيلاً [44]. ويعود الفضل الى تطور المدفعية المصرية الى إبراهيم ادهم باشا[45]، [46].

وقد اثبت المصريون انهم يملكون الصفات اللازمة لتكوين الجيوش الحديثة، وكان حرب المورة اول حرب اشترك فيها الجيش المصري على الصعيد الخارجي[47].

وان مرتبات الجندي كانت خمس عشر قرشً، وان مرتبات الضباط العظام في الجيش المصري ضخمة ووجهة محمد علي في ذلك هي قبول الاتراك لهذا النظام الجديد الذين كانوا يمقتونه اشد المقت عدا ان كبار الضباط بحكم مناهجهم مضطرون ان ينفقوا النفقات الطائلة[48].

اما البحرية فيرتبط أنشأوها بالدوافع الاقتصادية والسياسية التي احدثت ذلك النشاط العظيم وان وجود بحرية محترمة امرا جوهرياً لا غنى عنه، وان وجود بحرية قوية من شأنه ان يدعم صلاته بالأمم المتحضرة ويسهل تصدير المنتجات المصرية، إذ واجه صعوبات عديدة منها هو ان مصر لم تكن تهتم بالبحرية وتقتصر الى الماهرين [49].

فالبحرية المصرية ابتدأ ظهورها في تاريخ مصر الحديث اوائل سنة ١٨١٠م اذ كان لها الفضل الكبير في نجاح الحملة الوهابية لأنها صلة الاتصال بين مصر وجنود الحملة في الحجاز والتي مكنت مصر من السيطرة على البحر الاحمر وثغوره، واعتزم انشاء اسطولاً جديداً بأيدي مصرية، لكي لا تكون مصر عالة على البلاد الاوربية في انشاء تلك السفن، واستعان لتحقيق ذلك بمهندس فرنسي يدعى المسيو سريزي Cerisy [50]، [51].

اما الترسانة الضخمة التي انشئت في الإسكندرية، اذ بنيت فيها سفن من كل الاحجام الطرز الحربية، وانشئت مدرسة بالإسكندرية لتخريج ضباط البحرية عام ١٨٣١م[52].

وانشئت اول مدرسة في مصر واختير تلاميذها اولاً من مماليك محمد علي باشا وابناء خدامه، كان من معلميها القبودان انطوان بناشي والقبودان كاملو موسكاني ومحمد بك الجمان والد إبراهيم باشا توفيق فكان لهؤلاء المعلمين اليد البيضاء في تخريج كثير من رجال البحرية المصرية [53].

وانشئت هذه الترسانة وتكون فيها سفن كبيرة المعروفة بالغليون او القبان.

الحركة التعليمية:

تطلع محمد علي باشا بعد ان استتبت الامور لصالحه للاستفادة من منجزات العلم والتقنية الاوربية الحديثة، وارد تحويل مصر الى دولة من الطراز الاول في المنطقة العربية، فاهتم ببناء الجيش واسطول حديثين، فضلاً عن التغيرات التي احدثها في بناء التعليم والاجتماعي في مصر، الامر الذي تطلب ايضاً تغيراً جذرياً لمجمل حياة البلاد الاقتصادية، وقد فتح ذلك منفذاً لمصر الى الثقافة الحديثة، والى الافكار الجديدة بشكل يخدم الدولة[54]. كان التعليم ونشر الثقافة من اعظم وجوه الانفاق فائدة، حتى ان الذين ركبوا متن الشطط في نقد اعمال الباشا العمرانية ومشروعاته الإنسانية [55]. اذ اقتبس النظم الاوربية الحديثة في نشر لواء العلم والعرفان، فأسس المدارس الحديثة، واخذ من الحضارة الاوربية خير ما انتجته العلوم والقرائح، فنصف بالأفكار والعلوم في مصر نهضة كبرى كانت اساس تقدم مصر العلمي الحديث، اذ عنى به اختلاف درجاته من عال وثانوي وابتدائي [56].

ويعود الفضل في ارساء قواعد الثقافة الحديثة واسسها الى الاجراءات التي مارسها محمد علي باشا الذي اهتم بتطوير التعليم والمدارس على النمط الحديث، واذا كانت عملياته بهذا الصدد استهدفت تطوير مؤسساته العسكرية والمدنية بالكفاءات والمهارات، أن نتائجها قد افادت حركة المجتمع المصري، وطورت فعاليته، ببروز النخبة المثقفة، وذوي الاختصاصات والمهندسين، لاسيما في المدن المصرية[57]. اذ كان معنياً بأنشاء المدارس والمؤسسات التي تكفل اعداد الرجال الذين تحتاج اليهم حياة المدينة في شتى فروع الادارة والكومة والجيش والبحرية والزراعة والصناعة والمنشآت العمرانية [58]. اذ كفل اعداد المدارس العالية والبعثات بالشبان المتعلمين اذين حازوا من الثقافة قسطاً يؤهلهم لتفهم دروس المدارس العالية في مصر وفي واوربا، فكان الازهر خير عضد التعليم العالي، اذ اهتم محمد علي بأنشاء العديد المدارس[59].

البعثات:

كان الغرض الأول الذي دفع محمد علي المختلفة الى ممالك أوروبا ان كان ففي مصر جيلاً من الاساتذة والعلماء تلقوا العلم في أوروبا، ليحلوا بعد عودتهم محل الاساتذة والاطباء والمهندسين، اما الغرض الثاني هو ان يكون اعضاء هذه البعثات اداة صالحة لنقل علوم الغرب وفنونه وترجمته الى اللغة العربية، وكان اول عمل يسنده محد علي الى اعضاء البعثات هي امدادهم بالكتب، والتنبيه عليهم بسرعة ترجمتها [60]. واراد ان ينقل الى مصر معارف أوروبا وخبرة علمائها ومهندسيها ورجال الحرب والصنائع والفنون عنها، واراد ان تصارع مصر اوربا في مضمار التقدم العلمي والاجتماعي [61].

وقد شرع الباشا بأرسال بعثة الى أوروبا في وقت مبكر، فغادر اولى البعثات مصر الى ايطاليا في عام ١٩٠٨م، ثم ارسل بعثته الثانية في عام ١٨١٣م ووزع اعضاء هذه البعثة بين ليثورن وميلان وفلورنس [62] وغيرها من المدن الايطالية مجموعة من الطلبة لدرس الفنون العسكرية وبناء السفن وتعلم الهندسة وغيرها من الفنون، وارسل الى إنجلترا بعض التلاميذ لتلقي فن بناء السفن والملاحة ومناسيب الماء وصرفه، والميكانيك، وبلغ عددها الى (٢٨) طالباً. وكانت اول بعثة الى فرنسا سنة ١٨٢٦، واخذ اعضاؤها ينتظمون في سلك المدارس الفرنسية ويتلقون العلوم والفنون وكان عدد اعضاد البعثة (٤٠) تلميذاً ثم لحق بهم اربعة اخرون حتى صار عددهم (٤٤) طالباً [63].

وكان زعيم نهضة العلم والادب في عصر محمد علي رفاعة بك رافع الطهطاوي [64]، [65].

وقد بلغ مجموع ما انفقه محمد علي على هذه البعثات حتى عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م (١٢٣,١٧٤) جنيهاً، اما بعثة عام ١٨٤٤ فقد كلفت (٩٤,٦١٥) جنيهاً وبلغت نفقات البعثات اجمالاً من عام ١٢٤١هـ/١٨٢٦م حتى عام ١٨٤٨م (٢٧٣,٣٦٠) جنيهاً [66].

ان الكلام عن الطباعة يتصل بالنهضة العلمية، فهي من اسباب هذه النهضة اذ هي الوسيلة العلمية لنشر العلوم والمعارف، اذ ارسل الى روما وميلانو نقولامسابكي أفندي سنة ١٨١٦م للتخصص في فن الطباعة [67].

لم يكتف محمد علي بأنشاء المدارس وايفاد البعثات الى أوروبا بل عنى كذلك بالترجمة اكبر عناية وقد ظهرت الحاجة الملحة اليها في البداية، حتى تنقل علوم الغرب وفنونه الى لغات يفهمها تلاميذ المدارس المصرية، اي الى العربية والتركية بنوع خاص [68]. اذ كانت اول دولة شرقية عرفت الطباعة هي تركيا، فقد ادخلت اليها اول مطبعة في سنة ١٧٢٨م ثم تلتها سوريا، وعاد وفد الحملة الفرنسية على مصر احضرت معها مطبعة (البرو باجندا) من ايطاليا، ثم قدر لها ان

تخرج من مصر بخروج الحملة. وظلت مصر خالية من المطابع نحو العشرين عاماً حتى بدا محمد علي يضع الاسس لإصلاحاته، ويرجع تفكير محمد علي في انشاء مطبعة الى سنة ١٨١٢م وهي السنة التي اوفد فيه بعثته الى ايطاليا للتخصص في فن الطباعة [69].

تأسست مطبعة بولاق تلك المؤسسة الجليلة التي ما زالت قائمة الى اليوم تشهد بما اداه محمد علي النهضة العلمية من جليل الخدمات، أسست المطبعة في نوفمبر سنة ١٨٢٠م وجعل نقولا مابكي أفندي مدير لها وامدها محمد علي بكل ما يلزم من حروف والمكابس والآلات حتى استوفت حظاً كبيراً من الأتقان، واعدها لطبع لوائح الحكومة ومنشوراتها وطبع الكتب العلمية في الطب والرياضيات والآداب والتاريخ والعلوم وغيرها [70].

وقد كتب شاعر اسمه سعيد ثلاث ابيات باللغة التركية على لوحة تذكارية بمناسبة انشاء المطبعة لا زالت موجودة حتى الان واشير في نهايتها انها انشئت (من أكتوبر ١٨١٩ الى أكتوبر ١٨٢٠) فيقول:

حسن النتيجة قد نالته مطبعة محمد ساكن الجنات أنشأها ١٨٢٠

واليوم في دولة العباس أيده ربي، تجدد بالأسعار مبناها ١٩٠١ [71]

وقامت بطبع الكتب العربي والفارسية والتركية وصدرت في عهده اول جريدة مصرية هي (الوقائع المصرية)[72]. وكانت هي الجريدة الرسمية الحكومية، أسست سنة ١٨٢٨م وصدر اول عدد منه في ٢٥ جمادي الاول سنة ١٢٤٢هـ/ ٣ديسمبر سنة ١٨٢٨م، كانت تصدر باللغة العربية والتركية، ثم اقتصرت على العربية. وهي اول جريدة عربية أسست في مصر. لم يتبعها الى الظهور جريدة اخرى في تاريخ مصر الحديثة [73]، وكانت المطبعة الوسيلة الكبرى لتحقيق غرض محمد علي من نقل الحضارة الغربية الى مصر وكان هنا مطابع اخرى [74].

الإصلاح الزراعي:

لم تقف إصلاحات محمد علي الى هذا الحد ولكن رأى خصب التربة المصرية وامكان استخدامها لغير انواع المزروعات المعروفة، فجاء اليها بالقطن البندار (التقاوي) الأميركاني، وجاء بنبات النيلة من جهات الهند ونبات الأفيون من آسيا الصغرى، وجاء بغير ذلك من انواع المغروسات المفيدة، وجاء بأناس عالمين بكيفية زراعتها واستغلالها [75]. اذ ان من القواعد الاساسية في نهضة الامم انماء ثروة البلاد والمحافظة على كيانها المالي من اكبر دعائم الاستقلال، لان العمران مادة التقدم والثروة الاهلية هي قوام الاستقلال المالي، بحيث اتجهت انظاره منذ

اوائل حكمه الى إصلاح حالة البلاد الاقتصادية وانتشار اعمال العمران فيها لنمو ثروتها القومية[76].

وكانت باكورة اعمال محمد علي بمسح الاراضي المنزوعة في مصر الى المديريات وكل مديرية الى مراكز واقسام وعين في كل منها من يقوم بإدارة امورها عدا من عينهم لجباية الضرائب، ووزع اراضي كل ناحية على سكانها واصاب كل فلاح قادر على العمل نصيباً من تلك الاراضي[77].

اذ كانت لهذه المشاريع فائدة كبيرة للأهالي وشملت الزراعة فيها [78]. وكان نظام الالتزام هو الشائع في مصر، وكان الملتزم مسؤولاً عن جمع الاموال منة دائرة التزامه، وهذا يعني ان الملتزمين كانوا الواسطة بين الفلاحين وحكومة المماليك وهذا يمنع محمد علي ان يشرف مباشرة على الفلاحين والارض، ولهذا الغى محمد علي نظام الالتزام، وهذا يجعل الاموال كلها لخزينة الباشا [79]. وبدأ بإعادة تنظيم الاراضي وتوزيعها، فصادر الأراضي [80]، واستولى على اراضي الرزقة [81]، واراضي الأثر[82] ولكنه لم يتعرض للابعاديات[83]. واجرى مسحاً شاملاً للأراضي الزراعية عام ١٨١٣م ثم بدأ بتوزيعها على الذين باستطاعتهم استثمارها وشملهم بحق التصرف والنفقة بها لا حق التملك لها[84]. وجعل مشايخ البلاد جانباً من الارض اعفاءه من الضريبة من نفقات ضيافة جبأة الاموال الاميرية الذين كانوا يمرون في بلادهم وما كانت تكلفهم به الحكومة من المهام والشؤون[85].

وكانت هناك الاراضي الخراجية التي وزعت على الفلاحين في شكل قطع صغيرة لهم فيها حقوق الانتفاع وهناك اراضي الوصايا التي تنتقل ملكيتها الى بيت المال فور وفاة اربابها، كما منح عدداً من الاعيان وكبار رجال الجيش والموظفين مساحات كبيرة من الاراضي البور لإصلاحها واعفاءها من الضرائب [86].

وقام بتوزيع الاراضي الزراعية على الفلاحين، فأعطى كل منهم خمسة أفدنة لاستثمارها، ولكن حسب الاسس والتعليمات التي تقررها الدولة التي لها الحق في استرجاع الارض اذا عجز الفلاح عن استغلالها، او عجز عن دفع الضرائب المرتبة عليه [87].

وبلغت الاراضي الزراعية التي استغلت في سنة ١٨٢١م نحو المليون فدان، ولم يقف الامر الى هذا الحد، بل اخذت المساحة تتسع تدريجياً بما ابتكره محمد علي من الوسائل لتسهيل الري وشق الترع وانشاء الجسور والقناطير والسدود. وبهذا بلغت مساحة الاراضي المزروعة في سنة ١٨٤٠م نحو٣-٧٩١-٢٢٦ افدن [88].

الصناعة:

ان الكلام عن الصناعة في عصر محمد علي يقتضي التمييز بين الصناعة الكبرى والصغرى فبالنسبة للأخيرة فقد تقهقرت بسبب نظام الاحتكار فاضر بها وبأصحابها ضرراً كبيراً[89].

فقد حدثت الانتقالات اجتماعية واقتصادية في الآليات الحرفية والمهن المرتبطة بها الى ورشات كبيرة ومصانع يدوية عرفت ب (المانيفاتورات) اذ شيدت معمل لصب المعادن والحدادة في مدينتي القاهرة والرشيد[90].

وانشاء معامل واستجلاب الصناعة من اقطار أوروبا اذ انشأ معامل عديدة لمعالجة القطن والنيلة واصطناع الطرابيش التونسية والورق [91]. واعتمد على بعض الدول الأجنبية تمده بالمال والمنتجات المختلفة[92]. وكان الدافع الكبير لأحياء الصناعة المصرية هي سد حاجة الجيش من الاسلحة والمؤن اللازمة لها، بحيث استطاع محمد علي ان يمهد لانقلاب صناعي حديث للبلاد لم تعرف مثله من قبل وجلب خبراء والمهندسين من الخارج لانهم يعرفون دقائق الصناعة الحديثة والآلات الجديدة التي تجهلها البيئة المصرية[93].

الا ان الصناعة في عهد محمد علي اخفقت في تحقيق اي ربح حقيقي مما ادى في النهاية الى فشلها وانهيارها، وكان من اهم الاسباب هو احتكار الحكومة له. ولكن لو لم يتم محمد علي بإقامة العديد من الصناعات فربما كان من المستحيل. وذلك لان مقومات الصناعة من رأس المال وخبرة ودراية ومخاطرة واسواق لم تكن متوفرة [94].

وقال محمد علي ملخصاً سياسة ((لقد وضعت يدي على كل شيء لا جعل كل شيء مثمراً)) [95]، وكانت المصانع في مصر محمد علي باشا اشبه بثكنات ومعسكرات تتبع فيها اساليب وانظمة وتعليمات صارمة والعمال منظمين في فصائل وسرايا [96].

التجارة:

منذ اللحظة الاولى رسم محمد علي سياسته الجديدة، مؤسسة على ان يتصل بالقرية في الحكم، وفي كل ناحية من نواحي الانتاج والتجارة، وهذا ما اطلق عليه سياسة الاحتكار ان الحكومة تضبط التجارة الداخلية والخارجية تحت احكام خاصة، ومراقبة دقيقة وفي هذا التنظيم حد من مصلحة الافراد يقابله نفع للدولة.

وبعد ان كثرت حاصلات البلاد عن محمد علي بتنشيط التجارة ورأى ان لابد من انشاء ميناء تأوي اليه السفن التجارية فاثر الإسكندرية على دمياط ورشيد وشق فيها ترعة المحمودية نسبة للسلطان محمود الثاني فحفظت حركة نقل البضائع بين الإسكندرية وداخل القطر واصبحت لهذه المياه اهمية كبيرة وقصدها التجار من كافة انحاء العالم [97].

وبذلك اتسعت نطاق تجارة مصر الخارجية في عصر محمد علي لازدياد حاصلاتها ولاسيما القطر وقد ربحت الحكومة منها ارباحاً وفيرة لانها تحتكر التجارة الخارجية بأجمعها[98].

بحيث نشطت التجارة مصر الخارجية نشاطاً كبيراً بالقياس، اذ كان النمو في التجارة يرجع الى التوسع في الانتاج الزراعي وانتاج محاصيل جديدة لها اسواق خارجية متسعة، وكذلك ايضاً التوسع في الانتاج الزراعي وانتاج محاصيل جديدة لها اسواق خارجية متسعة[99].

وقد ساعد انشاء الاسطول في البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط على توسيع نطاق المواصلات البحرية بين مصر والبلدان الاخرى، وكان لإصلاح ميناء الإسكندرية فضل كبير في هذا الصدد، منذ انشئ اسطول مصر في البحر الأحمر فكر محمد علي في اعادة طريق التجارة بين الهند وأوروبا عن طريق مصر[100].

واصلح كذلك مرفأ بولاق وغيره ووسع للأجانب في الاستيطان والاتجار واقيمت فيها البنايات الكبيرة على الخط الأفرنجي ووجدت فيها الفنادق والنزل للغرباء[101]. وقد عمل محمد علي حاصلات البلاد بنفسه فاحتكر الحاصلات والمصنوعات وتولى بيعها مباشرة الى التجار الأوربيين واليونانيين والأرمن[102].

الخاتمة:

نستنتج ان محمد علي باشا اول الحكام في المنطقة الذين آمنوا بفكرة التحديث الشرقي ومارس عملياتها الاولى في مصر بجد ونشاط، وقد وصلت سياسته طابعاً تقدمياً واضحاً، على الرغم مما اوقعه على كاهل شعبه من الضرائب والاعمال. واستطاع محمد علي ان يغير الانماط الانتاجية القديمة قليلاً، لكي يزحزح المجتمع عن اطره ومرجعيات المنتمية للعصور الوسطى، وتخلص من البنية المملوكية ومخلفاتها العتيقة، ولاسيما في المدن المصرية المكتظة بالسكان.

كما انه أستطاع ان يعزز (الدولة) بالتنمية الاقتصادية، والدفاعات العسكرية البرية والبحرية. وصنع جهازاً وظيفياً وأمنياً فعالاً في الداخل، وما رافق ذلك من اصلاحات جديدة.

لقد قضى محمد علي باشا على رواسب التفكير القديم عند المثقفين والدارسين الذين اكتسبوا وعياً جديداً، وان في بناء مؤسسات تربوية وتعليمية بالأساليب القديمة مناهج حديثة، متخذاً من فرنسا مثالاً للرقي والازدهار التطلع والحيوية. ولكنه كان قياساً في ممارسة توسيعية يحلم ببناء امبراطورية واسعة تحمل اسمه وتحتوي على قوميات واقليات عديدة. واتسمت سياسته بالنير والحروب المتواصلة والتوسعات، ومناهضة الدول الكبرى وفي الجاب الاقتصادي فان محمد علي باشا لم يفرض على مصر نظاماً اقتصادياً معيناً وجديداً تماماً. بل انه النظام القائم ووسع

مجالاته كما ان نظام حكمه كان بمثابة استجابة لمتطلبات ذلك النظام الاقتصادي الذي ولد في مصر خلال القرن الثامن عشر قبل تولي محمد علي باشا السلطة، وان تحديث مصر لم يأت من الفراغ، بل وان الدولة المصرية التي بناها هذا الزعيم لم تولد من ذات نفسها.

اذ كان لها سوابق ومرجعيات تاريخية تعود الى القرن الثامن عشر. ونجح محمد علي باشا استخدام الإيرادات في خلق دولة عسكرية واقامة التحصينات وانتاج الاسلحة، واتبع سياسة اقتصادية فعالة ولاسيما للأراضي والضرائب، وان نزعته التحديثية ت تركز على دعم مركزه الشخصي معتمداً على التصنيع المربع الذي يتطلب إمكانيات مالية وبشرية غير قليلة. اما أبرز السلبيات التي رافقت عمليات محمد علي باشا في التحديث الشرقي لمصر فهي:

1) فشل تجربته بسبب فرض صناعة حديثة على قاعدة بدائية من جماهير الفلاحين.
2) لم تكن المشاريع المتواضعة لمحمد علي باشا في ميدان التعليم والتخصص كافية لتغطية ما تطلبه التحديث من اجهزة ومرافق وادوات، ولاسيما في الدراستين الاعدادية والمهنية.
3) انخفاض المستوى الفني للعمال الذي عجزت عن استخدام الآلات بكفاءة وجدية.
4) التخلف الاجتماعي والثقافي كان كفيلاً بعدم إنضاج التجربة الحديثة في المجتمع المصري الذي لم يشهد ظروف تغير ذهني في حياته وبناء وعي جديد.
5) تدعيم محمد علي باشا لمركزه الذاتي من خلال استبداده وجهله، ولكن ذلك لم يمنعه ان يكون عصره أكثر استنارة ورقي، فقد استطاع ان يزحزح القوالب القديمة في مصر كي يجعلها دولة ذات طابع حديث اثرت في بلورة مفاهيم جديدة في المجتمع المصري خلال القرن التاسع عشر.

وكانت انجازات محمد على تفوق كل انجازات الرومان والروم البيزنطيين والمماليك والعثمانيين لأنه كان طموحاً بمصر ومحدثاً لها ومحققاً وحدته الكيانية وجاعلاً المصريين بشى طوائفهم مشاركين في تحديثها والنهوض بها معتمداً على الخبراء الفرنسيين. وكان واقعياً عندما أرسل لفرنسا واستعان بها وتجارتها التي اكتسبوها من حروب نابليون. ولم يغلق ابواب مصر بل فتحها على مصراعيها لكل واحد وانفتح على العالم ليجلب خبراته لتطوير مصر.

الهوامش:

---

[1] عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور الحكم في مصر، ج٣، مطبعة النهضة، ١٩٣٠.

[2] عبد العزيز النوار، تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣.

[3] احمد عبد الله محمد الجبوري ، الفكر السياسي في مصر في النصف الثاني في القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية ، الاولى ١٩٠٥-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ٢٠٠١.

[4] احمد زكريا الشلق، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، الدوحة، ١٩٩٦.

[5] جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج١، دار مكتبة الحياة، بيروت.

[6] متسلم: منصب نائب والي.

محمد علي هو كأي عثماني مسلم، لا يمت للألبانيين ولا لصقالة ديوانها بسبب ولا نسب والثابت ان اباه إبراهيم كان على راس كتيبة من رجال الحفظ في المدينة وانه مات وابنه لا يزال صغيرًا ونشأ محمد على نشأة علمية صرفة تعلم اصول دنية، وركوب الخيل، واستعمال السلاح للتفصيل عن هذا الموضوع ينظر: شفيق غربال ، محمد علي الكبير، دار احياء الكتب العربية، د.ت.، ص٩. سلسلة اعلام الاسلام)؛ يذكر الكاب الدكتور محمد علي الهوبركي ان محمد علي هو كردي من ديار بكر وليس تركيًا او البانيًا كما اشيع. فتعود جذوره الى مدينة ديار بكر عاصمة كردستان الشمالية وذلك بشهادة حفيد الامير محمد علي ولي عهد ملك فاروق مصر عام ١٩٤٩ وبشهادة اخرى من الامير حليم احد احفاد محمد علي، اخذت هذه الدراسة من موقع الانترنت www.islamonlain.com.

[7] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله الى العربية نبيه امين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٤.

[8] عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ط3، مطبعة الفكرة، 1991، ص16.

[9] شفيق غربال، المصدر السابق، ص ٢

[10] احمد عبد الله محمد الجبوري، ص24

[11] عمر مكرم: هو السيد عمر مكرم يتصل نسبه الامام علي (كرم الله وجهه) ولد في أسيوط وفيها ولد وتعلم ،ولا نعلم كيف ارتقى الى نقابة الاشراف كننا نفهم ان بلوغه هذا المنصب انه كان واسع المواهب عظيم الاقتدار ويؤكد ان الفرنسيين حين اقبلوا وجدوا عر مكرم شخصية كبيرة يحسب لها حسابها وفي عمر مكرم تتمثل الوطنية الاسلامية اي ان عاطفته حفزته الى مناهضة الفرنسيين والسعي لإخراجهم من مصر.

[12] حجاج الخضري: هو احد الزعماء المصريين برزوا من بلدة (المنوات) القريبة من القاهرة ضد الفرنسيين وكان شيخاً لطائفة الخضرية، ثار ضد الوالي خورشيد باشا وقام بعده عمليات ناجحة ضد رجاله، وبعد وصول محمد علي الى الحكم وقف الحجاج الخضري ضد سياسته الاستبدادية فشنقه عام ١٨١٧م.

[13] عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص18.

[14] لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديثة، ترجمة عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١، ص٥٥-٧٥؛ سيار كوكب علي الجميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦، دار الكتب للطباعة الموصل.

[15] للتفاصيل عن جملة فريرز ينظر :عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي.

[16] مذبحة المماليك: اراد محمد علي ان ينظم شؤون البلاد الداخلية اذ طلب السلطان محمود بارسال حملة عسكرية الى شبه جزيرة العرب لقمع الحركة الوهابية التي كانت قد استفحلت وتقرر ان يرسل الجيش بقيادة طوسون باشا، وتحدد يوم الجمعة لوداع طوسون والاحتفال بخروج ورجاله الى قبة الغرب ونادى المنادون في

المدينة معلنين ذلك الخبر ودعى الاعيان والوجهاء ومن ضمنهم المماليك لمشاهدة حفلة الوداع وطلب اليهم الحضور بالملابس الرسمية. وفي البوم المحدد وهو الجمعة اول من مارس 1811 م احتشد الناس عند القلعة وحضر شاهين بك في جمع مماليكه فبالغ محمد علي في استقبالهم والترحيب بهم ثم اديرت اقداح القهوة ولما حانت الساعة المعينة امر محمد علي بالمسير فسار الموكب وكل في مكانه عنه جاعلين المماليك الى الوراء يحبط لهم الفرسان والمشاة، ولما اقتربوا من باب الغرب ومواجه ابواب القلعة وفي مضيق الباب والحوش العالي امر محمد علي فاغلقت الأبواب واشار الى الجنود الالبان فهجموا بغتة على المماليك فذعروا وحاولوا الفرار بالتسلق على الصخور ولكن اخفقوا في هذه المحاولة ولكن الجنود كان لهم بالمرصاد وقتل شاهين بك اما ديون صلاح الدين. وبلغ عدد المماليك الى الوليمة (٤٠٠) ولم ينج منهم الا اثنان احدهما احمد بك نزوح ابن إبراهيم بك الكبير. والثاني امين بك.

(17) احمد عبد الله الجبوري، المصدر السابق، ص ٢٥

(18) جورج يانج، تاريخ مصر من عهد المماليك الى نهاية حك اسماعيل، ترجمة علي احمد شكري، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص70.

(19) سيار كوكب علي الجميل، مصدر سابق، ص 268-269.

(20) حسين مؤنس، الشرق الاسلامية في العصر الحديث، ط٢، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٨، ص146.

(21) لوتسكي، المصدر السابق، ص٧٠

(22) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص372-373.

(23) احمد زكريا الشلق، المصدر السابق، ص ٥

(24) باشبوزق: الجنود غير النظاميين .

(25) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص377.

(26) عمر طوسون، الجيش المصري البري والبحري، ط٢، مكتبة مدبولي،القاهرة، ص13.

(27) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص378.

(28) سليمان باشا الفرنساوي: ولد في ١٧ مايو عام ١٧٨٨م على سفينة والده الملاحة واصحاب السفن في نهر الجاردن ومن اهل مدينته ليون. ولما ترعرع دخل في مهنة الملاحة عام ١٨٢٠م باحدى السفن الحربية في طولن وهو في الثانية عشر من عمره. ثم انتظم في سلك المدفعية البحرية واشترك في الحرب التي وقعت بين الاساطيل المتحدة لدولتي فرنسا وابانيا والاسطول الانكليزي وهي الواقعة البحرية المشهورة بواقعة الطرف الاخر فلفت الانظار اليه ورؤى فيه عن ذلك الحين الاستعداد الحربي واصيب في هذه الواقعة بجرح علامة الشرف الاولى له. وفي عام ١٨٠٧م التحق بالخدمة بالجيش الفرنسي الذي كان في ايطاليا. للتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر: ، صفحات من تاريخ مصر في عهد محمد علي. الجيش المصري البري والبحري.

(29) عمر طوسون، المصدر السابق، ص ٥.

(30) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص371.

[31] جورج يانج، المصدر السابق، ص ٨٨-89

[32] جرجي زيدان، المصدر السابق، ص182.

[33] عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص381.

[34] محمد فؤاد واخرون، بناء دول مصر محمد علي، دار الفكر العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٨، ص152.

[35] عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص382.

[36] جورج يانج، المصدر السابق، ص ٨٩.

[37] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص153

[38] عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص386.

[39] عمر طوسون، المصدر السابق، ص39.

[40] سيار كوكب علي الجميل، الصدر السابق، ص ٢٩٢

[41] عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص389.

[42] عمر طوسون، المصدر السابق، ص329؛ عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص400. وتوجد فيها تفاصيل اكثر عن ملابس الجنود.

[43] عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص396-399.

[44] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص154.

[45] إبراهيم ادهم باشا: كان في مقدمة الضباط الاكفاء الذين نهضوا بالمدعية المصرية وتولى ادارة المهمات الحربية واسس ادر صناعة القلعة لصنع الاسلحة وصب المدافع ويعد من خيرة رجال محمد علي ومن اصدق من بذلوا جهودهم في تأسيس الجيش النظامي، وهو ايضاً من حملوا لواء نهضة التعليم في مصر وقد ذكره العلامة علي باشا المبارك فقال عنه: ((انه كان من اشهر رجال الحكومة، صادقاً في القيا بوظائفه مع الاجتهاد))، وان اصله من الأستانه ثم استوطن مصر غير عصر محمد علي باشا.

[46] جورج يانج، المصدر السابق، ص92.

[47] احمد زكريا الشلق، المصدر السابق، ص60.

[48] عمر طوسون، المصدر السابق، ص41.

[49] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص154.

[50] سريزي: مهندس بحري فرنسي من ثغر طولون اشتهر بالكفاية او الخبرة في الفنون البحرية ولاسيما في بناء السفن والاحواض والترسانات وعهد اليه بأنشاء سفينتين حربيتين في مرسيليا، فعرض عليه ان يحضر الى مصر ليستعين به في احياء البحرية المصرية.

[51] عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص425-428.

[52] احمد زكريا الشلق، المصدر السابق، ص ٦٢

[53] عمر طوسون، المصدر السابق، ص ٧٢

(54) احمد عبد الله الجبوري، المصدر السابق، ص ٩

(55) محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص49

(56) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص464.

(57) سيار كوكب علي الجميل، المصدر السابق، ص300

(58) محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص94

(59) جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٥١، ص16-24.

(60) جمال الدين الشيال، المصدر السابق، ص33

(61) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص376

(62) محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص101

(63) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص482-483

(64) رفاعة بك رافع الطهطاوي: ولد سنة ١٨٠١م وتوفي سنة ١٨٧٣م وهو مصري من اقصى الصعيد نشأ نشأة عادية من ابوين فقيرين، قرأ القرآن اذ كان نفساً عالياً وروحاً متوثبة وعزيمة ماضية، وذكاء حاداً، وشغفاً عالياً بالعلم واخلاصاً للوطن، صحب البعثة العلمية اللولى من بعثات محمد على وارتحل الى معاهد اعلم في باريس واستروح نفس الشفافة والاوربية. وهو السيد رفاعة بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع، يتصل بمحمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص)، فهو من نسل الحسين، وامه يتصل نسبها بالأنصار ولد في طنطا بمديرية جرجا، ولذلك سمي الطهطاوي، ،كانت ولادته سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م، حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ لعلوم الفقهية، اما ابرز مؤلفاته (تخليص الابريز في تخلص باريز).

(65) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص498.

(66) محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص106

(67) عبد الحمن الرافعي، المصدر السابق، ص ٥٦٩

(68) محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص106

(69) جمال الدين الشيال، المصدر السابق، ص195.

(70) عبد الرحمن الرافعي، الصدر السابق، ص ٥٦٩

(71) جمال الدين الشيال، المصدر السابق، ص105-106.

(72) سيار كوكب علي الجميل، المصدر نفسه، ص305

(73) عبد الرحمن الرافعي، الصدر السابق، ص571

(74) جمال الدين الشيال، المصدر السابق، ص ٢٠٠

(75) جرجي زيدان، المصدر السابق، ص178؛ جورج يانج، المصدر السابق، ص81.

(76) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص572.

(77) جورج يانج، المصدر السابق، ص ٨٠

(78) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص573-577

(79) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص89

(80) الاواسي: الارض المعفاة من الضرائب.

(81) الرزقة: الاراضي المعطاة لكبار رجال الدولة.

(82) الاثر: الموروثة

(83) الابعاديات: الاراضي البور التي استصلحها اصحابها شرط الا ينقل حق الانتفاع بها لغير الورثة الشرعيين.

(84) سيار كوكب علي الجميل، المصدر السابق، ص ٢٩٦

(85) جورج يانج، المصدر السابق، ص ٩٢

(86) احمد زكريا الشلق، المصدر السابق، ص ٦٢

(87) سيار كوكب علي الجميل، المصدر السابق، ص ٢٩٧ ؛ جورج يانج، المصدر السابق ص81.

(88) محمد عبد العزيز عجيمة، التطور الاقتصادي، دار الكاتب العربي، الإسكندرية، د.ت، ص235-236.

(89) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص586

(90) سيار كوكب الجميل، المصدر السابق، ص ٢٩٨

(91) جرجي زيدان، المصدر السابق، ص174

(92) محمد عبد العزيز عجمية، المصدر السابق، ص242

(93) امين مصطفى عفيف عبد الله، تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر، ١٩٥١، ص90-97.

(94) محمد عبد العزيز عجيمية، المصدر السابق، ص ٢٩٥ . وللتفاصيل عن اسباب اضمحلال الصناعة المصرية.

(95) احمد زكريا الشلق، المصدر السابق، ص64.

(96) سيار كوكب علي الجميل، المصدر السابق، ص299

(97) جورج يانج، المصدر السابق، ص83.

(98) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص603.

(99) محمد عبد العزيز عجيمة، المصدر السابق، ص248.

(100) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص ٦٠٢.

(101) جرجي زيدان، المصدر السابق، ص138.

(102) جورج يانج، المصدر السابق، ص84.

المصادر والمراجع:

1) احمد زكريا الشلق، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، الدوحة، ١٩٩٦.

2) احمد عبد الله محمد الجبوري ، الفكر السياسي في مصر في النصف الثاني في القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية ، الاولى ١٩٠٥-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ٢٠٠١.

3) امين مصطفى عفيف عبد الله، تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر، ١٩٥١.
4) جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج١، دار مكتبة الحياة، بيروت.
5) جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٥١.
6) جورج يانج، تاريخ مصر من عهد المماليك الى نهاية حك اسماعيل، ترجمة علي احمد شكري، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة.
7) حسين مؤنس، الشرق الاسلامية في العصر الحديث، ط٢، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٨.
8) سيار كوكب علي الجميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦، دار الكتب للطباعة الموصل.
9) شفيق غربال ، محمد علي الكبير، دار احياء الكتب العربية، د.ت.، ص٩. سلسلة اعلام الاسلام)
10)عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور الحكم في مصر، ج٣، مطبعة النهضة، ١٩٣٠.
11)عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ط3، مطبعة الفكرة، 1991.
12)عبد العزيز النوار، تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣.
13)عمر طوسون، الجيش المصري البري والبحري، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة.
14)كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله الى العربية نبيه امين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٤.
15)لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديثة، ترجمة عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١.
16)محمد عبد العزيز عجيمة، التطور الاقتصادي، دار الكاتب العربي، الإسكندرية، د.ت.
17)محمد فؤاد واخرون، بناء دول مصر محمد علي، دار الفكر العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٨.

المصادر والمراجع العربية باللغة الانكليزية

1) Ahmed Zakaria Al-Shalq, Landmarks of Modern and Contemporary History of Egypt and Sudan, Doha, 1996.
2) Ahmed Abdullah Mohammed Al-Jabouri, Political Thought in Egypt in the Second Half of the Nineteenth Century until World War I 1905-1914, unpublished MA thesis, Institute of Arab History and Scientific Heritage, 2001.
3) Amin Mustafa Afif Abdullah, Economic and Financial History of Egypt in the Modern Era, Anglo-Egyptian Library, Egypt, 1951.

4) Jurji Zaydan, Biographies of Celebrities of the East in the Nineteenth Century, Vol. 1, Dar Maktabat Al-Hayat, Beirut.
5) Jamal Al-Din Al-Shiyal, History of Translation and the Cultural Movement in the Era of Muhammad Ali, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Al-E'timad Press, Egypt, 1951.
6) George Young, History of Egypt from the Era of the Mamluks to the End of the Ismaili Rule, translated by Ali Ahmed Shukri, 2nd ed., Madbouly Library, Cairo.
7) Hussein Mu'nis, The Islamic East in the Modern Era, 2nd ed., Hijazi Press, Cairo, 1938.
8) Sayyar Kawkab Ali Al-Jamil, The Formation of Modern Arabs 1516-1916, Dar Al-Kutub for Printing, Mosul.
9) Shafiq Gharbal, Muhammad Ali Al-Kabir, Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiyya, n.d., p. 9. A'lam Al-Islam Series(
10) Abdul Rahman Al-Rafi'i, History of the National Movement and the Development of Government in Egypt, Vol. 3, Al-Nahda Press, 1930.
11) Abdul Rahman Al-Rafi'i, The Era of Muhammad Ali, 3rd ed., Al-Fikra Press, 1991.
12) Abdul Aziz Al-Nawwar, History of Contemporary Arabs Egypt and Iraq, Dar Al-Nahda Al-Arabiyya, Beirut, 1973.
13) Omar Toson, The Egyptian Land and Sea Army, 2nd ed., Madbouly Library, Cairo.
14) Carl Brockelmann, History of Islamic Peoples, translated into Arabic by Nabih Amin Faris, Munir Al-Baalbaki, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, 2nd ed., Beirut, 1974.
15) Lutsky, History of Modern Arab Countries, translated by Afifa Al-Bustani, Dar Al-Taqaddum, Moscow, 1971.
16) Muhammad Abdul Aziz Ajima, Economic Development, Dar Al-Kateb Al-Arabi, Alexandria, n.d.
17) Muhammad Fuad and others, Building the State of Egypt by Muhammad Ali, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Printing Press of the Authorship and Translation Committee, 1948.

Muhammad Ali Pasha's domestic policy and the formation of the modern state

Assist Lect .Jassim Muhammad Abd

Imam Al-Aadam College University

dr.jasim1966@gmail.co

Keywords : Politics, Muhammad Ali Pasha, Interior, Formation, Modern State

Summary:

Muhammad Ali Pasha is a prominent figure in the history of modern Egypt. He .was born on March 4, 1769, in the city of Kavala in GreeceHe is considered the founder of modern Egypt, as he implemented radical reforms in various fields, including the military, agriculture, industry, and education.

Muhammad Ali focused on developing the Egyptian army, creating a strong military trained in the European style, which helped him expand his influence in the region. He also implemented agricultural reforms, introduced new crops, and established an irrigation system that increased agricultural productivity.

In the industrial sector, Muhammad Ali founded numerous factories, including those for spinning and weaving, and he worked on improving the country's infrastructure, such as roads and ports. He also introduced a modern education system, which helped raise the level of education in Egypt.

Despite his successes, Muhammad Ali faced challenges and conflicts, including internal rebellions and external pressures from the great powers. Nevertheless, he left a significant legacy in Egypt's history, establishing the Muhammad Ali dynasty, which ruled the country for a century.

Muhammad Ali Pasha died on August 2, 1849, but his influence is still felt in various aspects of Egyptian life today. He is regarded as a symbol of reform and modernization, and the founder of a new era in Egypt's history.